علل الوقوف: شواهد منتقاة من تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن

امحمد ربة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
rebbamhamed@gmail.com

الملخص

إن دراسة علل الوقوف القرآنية في كتاب الله عز وجل موضوع في غاية الأهمية ومما لا يسع الجهل به أبدا، ولهذا فقد اعتنى به القدماء من اللغويين وعلماء علوم القرآن وطرقوه في تواليفهم وأشاروا إليه كثيرا، وكان الحامل على ذلك عندهم هو بيان عدم اعتباطِية اختياراتهم لمنازل الوقف والابتداء، وإنما هي نِتاجٌ لتأثرها بجملة من فنون العلم المختلفة. ومن هنا جاءت هذه الورقة لتسليط الضوء على العلل الداعية إلى اختلاف علماء الوقف وكذلك المفسرين حول تحديد مواطن الوقف والابتداء في آيات القرآن الكريم، وأن وُقُوفَاتِهِم وابْتِدَاءَاتِهِمْ إنما كانت مُؤسَّسَة على جملة من القواعد: تفسيرية، ونحوية، وقِرَائية، وفقهية. والمنهج المتّبع في معالجة موضوع البحث فهو المنهج: الاستقرائي التحليلي. وهذا البحث لم يسبق له الوقوف على دراسة مماثلة في الكشف عن علل الوقوف والابتداءات من خلال تفسير القرطبي، كما انفردت دراستي هذه بربط أسباب الاختلاف بنماذج قرآنية من التفسير المشار إليه سابقا. ونتائجها أن للوقف والابتداء تأثيرا كبيرا في تنوع معاني الآيات واختلاف المفسرين، كما أظهر البحث أن أسباب الاختلاف في تحديد مواضع الوقف القرآني كثيرة؛ فمنها ما هو تفسيري، ومنها ما هو قِرائي، ومنها ما هو فقهي بالإضافة إلى ضرورة عناية القارئ والمفسِّر بفهم علم الوقف والابتداء، علله، ووجوهه.

الكلمات المفتاحية: *القرآن الكريم؛ العلل؛ الشواهد؛ الوقف والابتداء.*

Causes of the Stops: Selected Examples from Tafsir al-Qurtubi "*Al-Jāmi' li Ahkām al-Qur'ān*"

M'hamed Rebba
Prince Abdelkader University of Islamic Sciences, Constantine – Algeria
rebbamhamed@gmail.com

Abstract

The study of the causes of the Qur'anic endowment in the Book of God Almighty is a topic of great importance and ignorance of which cannot be tolerated at all, and for this reason the ancient linguists and scholars of the Qur'anic sciences took care of it and used it in their syntheses and consulted with it a lot. It is the result of being influenced by a number of different sciences. Hence this paper came to shed light on the reasons calling for the differences of endowment scholars as well as the commentators about determining the places of endowment and beginning in the verses of the Noble Qur'an, and that their endowments and beginnings were based on a set of rules: explanatory, grammatical, reading, and jurisprudence. The importance of stopping and starting in understanding the meanings of the Qur'an correctly. The search for the reasons that motivate the different aspects of endowment and initiation: in terms of grammar, jurisprudence, and doctrine. My interest in the interpretation of Al-Qurtubi: "The Collector of the Laws of the Qur'an", as I found it a useful book and an original source in a number of sciences. As for the method used in dealing with the subject of the research, it is the inductive-analytical method. One of the advantages of my research, as I see it, is that I have never had a similar study in revealing the reasons for standing and beginnings through the interpretation of al-Qurtubi, and my study was unique in linking the reasons for disagreement with Quranic models of the interpretation referred to previously. In addition to the need for the reader and the exegete to pay attention to understanding the science of endowment and the beginning, its causes, and its aspects... so that he can differentiate between the different meanings and the two different rulings.

Keywords: *The Noble Qur'an; Recitation Stops; Beginnings; Qur'an Examples.*

المقدمة

من الأمور المتفق عليها أن القرآن الكريم هو منبع جميع العلوم ومصدرها، فمن أقبل عليه بجدّ وأخذه بحقّ نال حظا وافر من الحقائق والفضائل، ولهذا ترى العارفين بقدر هذا الكتاب العظيم مقبلين عليه ومستفيدين منه،[1] فصار كتاب الله تعالى محطَّ أنظار العلماء ومَناط أفكار الفضلاء، ومَوْضع عناية الباحثين والدارسين قديما وحديثا - ولا زال كذلك ولله الحمد والمنة -، فاستفادوا منه علوما نافعة كثيرة، وحِكما باهرة غزيرة، فتنوّعت اهتماماتهم في خدمة هذا الكتاب العظيم تعلما وتعليما، ومنها، تفسير آياته واستنباط أحكامه، وإظهار إعجازه وبلاغته، ومعرفة وقوفه وابتداءاته، وما إلى ذلك من أنواع العلوم المأخوذة من القرآن الكريم[2].

هذا وإن من العلوم المهمّة الخادمة للقرآن الكريم علم الوقف والابتداء، نَعَمْ إنه العلم الذي يَحْصل به للقارئ تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، ويُستعان به على فهم القرآن والغَوْص على دُرَرِه وكنوزه، وتتَّضح به الوقوف التامّة من الكافية، والحسنة من القبيحة، والجائزة من الممنوعة، وهكذا تظهر للسامع المتأمِّل والقارئ المتدبِّر معاني القرآن الكريم على أكمل وجوهها وأصْوَبِها.

إن اعتماد علماء الوقف والابتداء في وضْع الوقوف وتحديد مواطنها وأنواعها مبنيّ على النظر في معاني الآيات وتعْلِيلها[3]، ولهذا فإن الناظر في كتب التفسير وكذا كتب الوقف والابتداء فإنه يلْحظ من خلالها أقوالا متعددة وآراء متباينة، فتجد بعض العلماء يقول إن الوقف على هذا الموضع كاف، والثاني يقول: إنه حسن، والثالث يقول: إنه تام، وبناء على هذا تختلف المعاني القرآنية تبعا لاختلاف مواطن الوقف والابتداء، ومن هنا كان ولابدَّ على المُشتغل بفهم كلام الله

---

[1] أحمد قشيري سهيل، "حاجة المسلم إلى التفسير،" مجلة *الزهراء ٧*، رقم ١ (يونيو، ٢٠٠٨).

[2] أيمن فتحي عبد السلام زين، "الوقف والابتداء دراسة تداولية من خلال علل الوقوف للسجاوندي (ت ٥٥٦٠)،" *المجلة العلمية بكلية الآداب*، رقم ٣٢ (يناير، ٢٠١٨): ١٧٦-٢٠٤.

[3] امحمد ربة وزين الدين موسى، "جدَلِية الوقوف على آواخر الآيات القرآنية،" مجلة *الزهراء ١٦*، رقم ١ (يونيو، ٢٠١٩).

تعالى والمتدبّر لمعانيه أن يضبط جيدا: (علل الوقوف)، لِيتمكَّن من التوْفيق بين الأقوال والترجيح بين الآراء، وذلك بالنظر في الأسباب الداعية لاختلاف منازل الوقف والابتداء.

وعليه يُطرح التساؤل الآتي: ما هي العِلل المُتحَكِّمة في وقوف القرآن بين العلماء؟

المنهج

وقد انتهجت في دراسة موضوع "علل الوقوف - من خلال تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي" المنهج: الاستقرائي، التحليلي.

حيث وظّفت الاستقرائي في تتبع واستخراج الآيات القرآنية في التفسير ذات الصلة بالوقف والابتداء. وأما التحليلي فاعتمدت عليه في البحث والتنقيب عن دوافع الاختلاف في تحديد مواطن ومنازل القطع والائتناف.

وقد استند موضوع هذا البحث على جملة من الكتب والمصادر الأصيلة سواء في الوقف والابتداء مثل: القطع والائتناف للنحاس، ومنار الهدى للأشموني. أو في التفسير مثل: الجامع للطبري، وتفسير القرآن للنسفي. أو في القراءات مثل: الكامل للهذلي، والكشف لمكي بن أبي طالب القيسي.

بيان علل الوقوف

الوقف والابتداء: ((علم يعرف به القارئ المواضع التي يصلح أو لا يصلح الابتداء بها))[٤]

ومن اللطائف والفوائد في هذا الباب أن مصطلح الوقف والابتداء قد غلب على هذا العلم حتى صار لا يعرف إلا بهذه التسمية المشتهرة بين أهل العلم وطلابه. وهناك تسميات أخرى لهذا العلم مثل: المقاطع والمبادئ، والقطع والائتناف، والفصل والوصل.

[٤] مساعد بن سليمان بن مساعد الطيار، *وقوف القرآن وأثرها في التفسير* (الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣١هـ)، ١٩.

إن دواعي اختلاف الوقف والابتداء أو ما يسمى بـ: "علل الوقوف"، هي تلك العوامل والأسباب المؤدِّية إلى تعدّد مذاهب العلماء في تحديد مواطن الوقف والابتداء في القرآن الكريم، والحامل على هذا الاختلاف هو ما ذكره بعض العلماء، من أن معرفة الوقف تتوقف على معرفة جملة من العلوم وهي: القراءات، والنحو، والفقه وغيرها، والتي قد تحمل بدورها وفي حدّ ذاتها أوجها متنوعة وخلافا علميا كبيرا، ولهذا يقول أبو جعفر النحاس: ((ذكر لي بعض أصحابنا عن أبي بكر بن مجاهد أنه كان يقول: لا يقوم بالتَّمام إلا نحوي، عالم بالقراءات، عالم بالتفسير، عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن. ويقول أيضا: يحتاج صاحب علم التمام إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء في أحكام القرآن، لأنه من قال من الفقهاء: لا تقبل شهادة القاذف - وإن تاب - فإن الوقف عنده: {وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور:٤]، ومن قال تجوز شهادته إذا تاب كان الكلام عنده متصلا، والوقف عند {فَإِنَّ اَللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٥])).[٥]

ويقول الهذلي أيضا: - وهو يتحدث عن كتابه: "الجامع في الوقف والابتداء": ((...بَيَّنت فيه وقف الفقهاء، والصوفية، والمتكلِّمين، والقرّاء، وأهل المعاني))[٦] إلى آخر ما ذكره.

وإذا تأمّل أحدُنا في هذه العلوم التي جاء ذكرها في هذه النقولات عن هؤلاء الأئمة المتقدمين، وجدتها ترجع إلى فهم المعنى والتفسير. إذ الوقف أثرٌ عن فهم المعنى، ومن اختار معنى فقد فسّر. ومن هنا نشأ الاختلاف بين العلماء في الوقف والابتداء نتيجة اختلافهم قبل ذلك في إحدى العلوم المذكورة ذات الصلة بالوقف والابتداء، فالخلاف إذن لا يكون في الوقف إلا إذا كان في القراءات، أو في النحو، أو في غيرهما، وهكذا في بقية العلوم القابلة للنزاع والخلاف بين أهل العلم.

---

[٥] أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، *القطع والائتناف*، تحقيق: عبد الرحمن المطرودي (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ١٨.

[٦] أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي، *الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها*، تحقيق: جمال الشايب (القاهرة: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ١٤٠.

إذن فمعرفة علم الوقف والابتداء تحتاج إلى علوم كثيرة، كما قال ابن مجاهد: ((لا يقوم بالتمام إلا نحوي، عالم بالقراءات، عالم بالتفسير، عالم بالقصص وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن وكذا علم الفقه)).[٧]

ومن خلال ما ذكره ابن مجاهد وغيره يظهر لنا أن علم الوقف والابتداء له صلة وثيقة بكل من علميّ الشريعة والعربية كمثل: التفسير، والنحو، والقراءات، والعقيدة، والفقه، والقصص. وفيما سيأتي إن شاء الله تعالى بيان لكل علة من العلل، مع بيان الاختلاف الحاصل في الوقف القرآني بِسَبَبِها.

نماذج تطبيقية لِعِلَل الوقوف، من خلال تفسير القرطبي

أ. **العلّة النحوية**: إن علم الوقف والابتداء له صلة وثيقة وارتباط متين بعلم النحو، لذلك كثيرا ما نجد اختلاف الوقف والابتداء لاختلاف أوجه الإعراب، ومن ذلك:

قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ}. [الحج: ٧٨].

يقول القرطبي: (((ملة أبيكم) قال الزجاج: المعنى: اتبعوا ملة أبيكم. الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال: كملة)).[٨]

التحليل: حصل خلاف بين اللغويين وعلماء الوقف والابتداء في الوقف على قوله تعالى: (من حرج)، ومردُّ ذلك راجع إلى تحديد الناصب للفظة: (ملة) في قول الله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)، وذلك على قولين اثنين:

---

[٧] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ٢٩٦.

[٨] أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج. ١٢، ١٠١.

القول الأول: النصب على الإغراء، أي: أن لفظة: (ملة) منصوبة بفعل محذوف تقديره: اتبعوا أو التزموا، وعليه فيكون الوقف عند كلمة: (حرج)، ثم استئناف ما بعدها بكلام منفصل عن الأول، وتقدير الكلام: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم، وهو قول عامة علماء الوقف والابتداء مثل: النحاس، وابن الأنباري، والداني.[٩]

يقول الأشموني مرجِّحا هذا الرأي: ((والقول بأن (ملة) منصوبة على الإغراء أولى، لأن حذف الكاف لا يوجب النصب. وقد أجمع النحويون أنه إذا قيل: زيد كالأسد، ثم حذفت الكاف لم يجزِ النصب، وأيضا فإن قبله اركعوا واسجدوا فالظاهر أن يكون هذا على الأمر، أي: اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم)).[١٠]

القول الثاني: النصب بنزع الخافض، أي: أن لفظة: (ملة) منصوبة بكاف محذوفة: كملة، وتقدير الكلام هو: وسّع عليكم كملة أبيكم إبراهيم. فيكون الكلام متصلا بعضه ببعض فلا يوقف على: (من حرج) بل يوصل بما بعده: (ملة أبيكم. وهو قول الفراء حيث يقول: ((وقوله: (ملة أبيكم) نصبتها على: وسّع عليكم كملة أبيكم إبراهيم لأن قوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) يقول: وسّعه وسمّحه كملة إبراهيم، فإذا ألقيت الكاف نصبت))[١١].

والشاهد من هذه الآية في علاقتها بمسألة الوقف والابتداء، هو أن من قدّر المحذوف فعلا فقد اختار الوقف على (ملة) وذلك من أجل الفصل بين الجملتين، ومن

---

[٩] النحاس، *القطع والائتناف*، ٤٥١؛ أبو عمرو الداني، *المكتفى في الوقف والابتدا*، تحقيق: جمال الدين محمد شرف (القاهر: دار الصحابة للنشر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ١٥٦؛ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، *إيضاح الوقف والابتداء*، تحقيق: أحمد عيسى المعصراوي وأحمد عبد الرزاق البكري (المنامة: وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ٤٠٨.

[١٠] أحمد بن محمد الأشموني، *منار الهدى في بيان الوقف والابتدا* (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ٢٥٩.

[١١] أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، *معاني القرآن*، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون (القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت)، ج. ٢، ٢٣١.

قدّره حرفا لم يقف واختار الوصل بدله لاتصال ما قبله بما بعده. وهو ما يبين لنا مدى تأثير العامل النحوي في الوقف والابتداء، وكيف أنه يتم الاختلاف في موضع الوقف تبعا للاختلاف في التغاير الإعرابي.

ب. **العلة التفسيرية:** من المعلوم أن التفسير يبحث عن مراد الله تعالى في كتابه العزيز، وبما أن التفسير يتعلق بالوقف كغيره من العلوم المذكورة سابقا، فقد كان للوقف أثر وتدخُّل في فهم المعنى وبيان المراد، ومثال ذلك:

قوله تعالى: {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)}. [الكهف: ٤٣- ٤٤].

يقول القرطبي: ((قوله تعالى: (هنالك الولاية لله الحق) اختلف في العامل في قوله (هنالك) وهو ظرف، فقيل: العامل فيه ولم تكن له فئة ولا كان هنالك، أي ما نصر ولا انتصر هنالك، أي لِما أصابه من العذاب. وقيل: تم الكلام عند قوله (منتصرا). والعامل في قوله (هنالك الولاية). وتقديره على التقديم والتأخير: الولاية لله الحق هنالك، أي في القيامة)).[١٢]

التحليل: اختلف العلماء في الوقف على كلمة: (منتصرا)، وذلك لاختلافهما في تحديد معنى المشار إليه في قوله تعالى: (هنالك)، وذلك على قولين:

القول الأول: الوقف على قوله تعالى: وما كان منتصرا تام.[١٣] فيكون هنالك متعلقا بالولاية، وهنالك خبر والولاية مبتدأ له. فيصير الظرف عائدا إلى يوم القيامة.

[١٢] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج. ١٠، ٤١١.
[١٣] النحاس، *القطع والائتناف*، ٣٨٩؛ الأشموني، *منار الهدى*، ٢٣٢.

وبالتالي فمعنى الآية كما قال البغوي: ((هنالك الولاية لله الحق، يعني في القيامة)).[١٤] كما قال تعالى في سورة الانفطار: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)} [الانفطار: ١٩].

فبناء على هذا الرأي يكون الكلام تم على قوله (منتصرا) ويستأنف من قوله: (هنالك الولاية لله) على أنها جملة منفصلة عما قبلها لفظا ومعنى. فهنالك إشارة إلى حال الآخرة لا إلى حال الدنيا.

القول الثاني: الوقف على قوله تعالى: (هنالك) تام[١٥] والابتداء بما بعدها: (الولاية لله). ويكون الظرف: هنالك متعلقا بـ: (منتصرا) وعائدا عليه.

والمعنى هو: أن صاحب الجنتين لم يكن يصل إلى نصرة نفسه حين حلّ به العذاب من الله تعالى فلا مُنقذ له منه.[١٦] فهنالك إشارة إلى حال الدنيا لا إلى حال الآخرة.

فبناء على هذا الرأي يكون الكلام تم على قوله (هنالك) ويستأنف من قوله: (الولاية لله) على أنها جملة منفصلة عما قبلها متصلة بما بعدها. إذن فالمعنى التفسيري له تأثير في اختيار وجه معين من وجوه الوقف والابتداء.

ت. **العلة القِرائية:** للوقف صلة وطيدة بالقراءات التي نزل بها القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه قد يختلف الوقف تبعا لاختلاف القراءة. ومثال ذلك:

قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)}. [التوبة: ١٢٥- ١٢٦].

---

[١٤] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج. ٣، ١٩٤.

[١٥] الأشموني، *منار الهدى*، ٢٣٢؛ الداني، *المكتفى*، ١٤٣.

[١٦] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج. ٥، ١٤٤.

يقول القرطبي: ((قوله تعالى. (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) قراءة العامة بالياء، خبرا عن المنافقين. وقرأ حمزة ويعقوب بالتاء خبرا عنهم وخطابا للمؤمنين)).[١٧]

التحليل: الجملة التي عليها مدار اختلاف الوقف والابتداء هي: (وهم كافرون)، وذلك راجع إلى القراءات الواردة في كلمة: (يرون). حيث قُرئت هذه اللفظة على وجهين مختلفين هما: الياء يرون، والتاء ترون.

القول الأول: من قرأ بالتاء قوله تعالى: (أولا ترون) بدل الياء، وهي قراءة حمزة ويعقوب،[١٨] وقف عند على قوله تعالى: (وهم كافرون) وهو وقف تام،[١٩] ذلك لأن قراءة تاء الخطاب تقتضي أن يكون الخطاب من الله تعالى للمؤمنين، إذ يحمل هذا الخطاب إخبارا لهم وتنبيها عن حال المنافقين الذين لا يرْتدعون ولا يتوبون بالرغم ما يصيبهم وينزل بهم من الفتن والأمراض كل عام عقوبة لهم. وعليه فمن قرأ بالتاء الفوقية فإن الوقف لابد منه من أجل ما يكون من الفصل بين الجملتين المختلفتين، لأن الجملة الثانية هي استئناف وإخبار للمؤمنين خلافا للأولى فهي خاصة بالمنافقين دون غيرهم.

القول الثاني: وأما من قرأ بالتحْتية: (أولا يرون)،[٢٠] وهي قراءة الجمهور،[٢١] وصَل قوله تعالى: (وهم كافرون) بما بعدها (أولا يرون)، والسبب في ذلك هو أن قراءة ياء الغيبة تقتضي إخبار الله تعالى عن حال المنافقين المريضة قلوبهم كما تقدم وصفهم في الآية، حيث أنهم لا يعتبرون مما يصيبهم من المحن في كل عام، إذ فيه تقريع لهم على

[١٧] القرطبي، *الجامع*، ج. ٨، ٢٩٩.

[١٨] أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، *السبعة في القراءات*، تحقيق: شوقي ضيف (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ)، ٣٢٠.

[١٩] الأشموني، *منار الهدى*، ١٧١؛ الداني، *المكتفى*، ١١٠.

[٢٠] ابن مجاهد، *السبعة*، ٣٢٠.

[٢١] الأشموني، *منار الهدى*، ١٧١؛ الداني، *المكتفى*، ١١٠.

عدم الاعتبار، وبالتالي فالآية الأولى مرتبطة بالثانية، إذ في مجموعهما إخبار من الله تعالى عن حالهم.

يقول أبو طالب القيسي: ((فذلك أقوى عليهم في الحجة، والياء الاختيار، لأن الجماعة عليه، ولأن رؤيتهم لما يحِلّ بهم أعظم في الحجة عليهم من رؤية غيرهم لما يحلّ بهم)).[٢٢]

والعلة في الوصل هي أن الآية بمثابة القطعة الواحدة تتركب من جملتين اثنتين، ولهذا كان المقتضي عدم الوقف والفصل بينهما، فقوله تعالى: (أولا يرون) متعلقة بما قبلها وراجعة إليه (وهم كافرون)، كما أن الواو للعطف دخل عليها حرف الاستفهام.

إذن فكل قراءة تقتضي وقفا معينا مغاير تماما للقراءة الأخرى.

ث. **العلة الفقهية:** إن علم الوقف له صلة قوية بعلم الفقه، لأنه قد يُختلف في الوقف تبعا للاختلاف في الحكم الفقهي، ويتَّضح ذلك في المثال الآتي:

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)}. [النور: ٥- ٦].

يقول القرطبي: ((واختلف الناس في عمله في ردّ الشهادة، فقال شريح القاضي وإبراهيم النخعي والحسن البصري وسفيان الثوري وأبو حنيفة: لا يعمل الاستثناء في ردّ شهادته، وإنما يزول فسقه عند الله تعالى. وأما شهادة القاذف فلا تقبل البتة ولو تاب وأكذب نفسه ولا بحال من الأحوال.

[٢٢] أبي محمد بن أبي طالب القيسي، *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها* (بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ت)، ٥١٠.

وقال الجمهور: الاستثناء عامل في رد الشهادة، فإذا تاب القاذف قبلت شهادته، وإنما كان ردّها لعلة الفسق فإذا زال بالتوبة قبلت شهادته مطلقا قبل الحد وبعده، وهو قول عامة الفقهاء)).[٢٣]

التحليل: الجملة التي عليها مدار اختلاف الوقف والابتداء لاختلاف الحكم الفقهي قوله تعالى:

(ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا)، فمن قال بقبول شهادة القاذف بعد توبته وصل الآية إلى قوله: (فإن الله غفور رحيم)، ومن قال بعدم قبول شهادته وإن تاب وقف على رأس الآية: (أبدا) ولم يصل الآية بما بعدها.

القول الأول: الوقف على قوله تعالى: (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) تام، وقيل: كاف،[٢٤] ثم البداءة:

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا).

ووجه التمام هو من أجل الفصل بين الجملتين، حيث أن الاستثناء (إلا الذين تابوا) هو عائد على الفسق لا على الشهادة.

يقول ابن عباس في رد شهادة القاذف وإن تاب في قوله: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا)، قال: ((فتاب اللَّه عليهم من الفسق، فأما الشهادة فلا تجوز))،[٢٥] وهو قول غير واحد من التابعين.

فدلّ الوقف على (أبدا) أن ردّ شهادة القاذف وُصلت بالأبد فلا تقبل منه أبدا، بحيث أن الاستثناء راجع إلى الفسق فإذا أحدث توبة نصوحا ارتفع عنه اسم الفسق ولكن لم تقبل شهادته مطلقا.

---

[٢٣] القرطبي، *الجامع*، ج. ١٢، ١٧٩.

[٢٤] الأشموني، *منار الهدى*، ٢٦٥؛ الداني، *المكتفى*، ١٦١.

[٢٥] أبو منصور محمد بن بن محمود الماتريدي، *تفسير الماتريدي*، تحقيق: مجدي باسلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ج. ٧، ٥١٩؛ الداني، *المكتفى*، ١٦١.

القول الثاني: الوقف على قوله تعالى: (فإن الله غفور رحيم) تام[٢٦] ووصله بما قبله أبدا، وقد رجّحه الداني وقال: هو الاختيار.[٢٧]

ووجه التمام عند هذا الرأي؛ هو أن الاستثناء عامل في كلا الأمرين، فقوله (إلا الذين تابوا) عائد ومتعلق بـ: (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) وكذلك بـ: (وأولئك هم الفاسقون)، فتقبل شهادة القاذف ويزول اسم الفسق عنه بسبب التوبة. والمعنى: ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا إلا الذين تابوا فاقبلوا شهادتهم.

والشاهد هو أن الحكم الفقهي المستفاد من هذه الآية الكريمة وغيرها يختلف من وقف إلى آخر، مما يبين لنا شدة الترابط والتلازم بين علم الوقف وعلم الفقه.

ج. **العلة العقديّة:** المذهب العقدي كثيرا ما يكون له أثرٌ في تعليل الوقف القرآني، فالكلمة الموقوف عليها قد تحمل وجها معيّنا من التأويل على حسب اعتقاد هذا الواقف وموطن القطع الذي يختاره ويرتضيه.

قوله تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)}. [القصص: ٦٨].

يقول القرطبي: ((قال النحاس: التمام (ويختار)، أي: ويختار الرسل. (ما كان لهم الخيرة) أي ليس يرسل من اختاروه هم. قال أبو إسحاق: (ويختار) هذا الوقف التام المختار، ويجوز أن تكون (ما) في موضع نصب بـ (يختار) ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة. قال القشيري: الصحيح الأول لإطباقهم على الوقف على قوله: (ويختار))).[٢٨]

التحليل: الكلمة التي عليها مدار اختلاف الوقف لاختلاف دلالة عقدية في الآية هي لفظة: (ويختار)، وذلك كما يأتي مبينا:

---

[٢٦] النحاس، *القطع والائتناف*، ٤٦٣.
[٢٧] الداني، *المكتفى*، ١٦١.
[٢٨] القرطبي، *الجامع*، ج. ١٣؛ ٣٠٥.

القول الأول: الوقف على (ويختار) تام،[٢٩] ثم البداءة: (ما كان لهم الخيرة)، وهذا حال جعل (ما) للنفي والجحد لا الوصل. أي: نافية لاختيار الخلق لا اختيار الحق، والمراد على هذا الوجه: أي ليس لهم أن يختاروا على الله تعالى وليس لهم الاختيار والمعنى: لا يرسل الرسل إليهم على اختيارهم.[٣٠]

وهذا فيه نفي الاختيار عن المشركين، بل الله تعالى هو وحده الذي يختار من يشاء من عباده كما قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج: ٧٥].

القول الثاني: الوقف على (الخيرة) تام،[٣١] أي: وصله بما قبله (ويختار)، وهذا إن جعلت (ما) في موضع نصب لـ يختار، أي: الذي، فيكون المعنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة مما يتعبّد هم به ويدعوهم إليه.[٣٢] وهذا معناه صحيح أيضا.

وممن قال بهذا الرأي الطبري وغيره، وقد أنكر أن تكون (ما) للنفي لئلا يكون المعنى أنه لم تكن لهم الخيرة في الماضي وهي لهم في المستقبل.[٣٣]

وبعد التأمل في كلا الوقفين يظهر لنا صحة معنييهما جميعا، غير أن جمهور المفسرين وغيرهم يرون بالقول الأول ويرجّحونه، ذلك لأن القول الثاني - في حال الوصل - كما قال النسفي في حق من تبنّاه: ((فهو مائل إلى الاعتزال))،[٣٤] وهو يقصد بهذا ويشير

---

[٢٩] القرطبي، *الجامع* ١٧٥.

[٣٠] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (دمشق: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٥هـ)، ٨٢٤.

[٣١] النحاس، *القطع والائتناف*، ٥١٤- ٥١٥.

[٣٢] عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير* (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ)، ج. ٦، ٢٣٧.

[٣٣] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، ج. ١٩، ٦١٠.

[٣٤] أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، *تفسير النسفي*، تحقيق: مروان محمد الشعار (بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٥م)، ج. ٣، ١٩٦.

إلى مسألة: "وجوب فعل الصلاح والأصلح" على الله سبحانه وتعالى، والجواب على هذا الاعتراض كما قال صاحب البحر المديد: ((بأن المعتزلة يقولون ذلك على سبيل الإيجاب، ونحن نقوله على سبيل التّفضّل والإحسان)).[٣٥]

ولذلك يقول الأشموني: ((والوقف على ويختار هو مذهب أهل السنة)).[٣٦] وهذا القول عليه أكثر المفسرين وغيرهم كما سبق.

ح. **العلة القصصية:** بما أن القرآن الكريم قد حوى بين دفتيه كثيرا من قصص الأمم الغابرة، فإنها تؤثر هي الأخرى - القصص - في مسألة الوقف والابتداء كغيرها من المؤثّرات السابقة.

قوله تعالى: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)}. [النمل: ٣٤].

يقول القرطبي: (((وكذلك يفعلون) قيل: هو من قول بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته. وقال ابن عباس: هو من قول الله عز وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته بذلك ومخبرا به)).[٣٧]

التحليل: الجملة التي عليها مدار اختلاف الوقف لاختلافٍ متعلق بالقصص القرآني في الآية - قصة بلقيس مع نبي الله سليمان عليه السلام - هو قوله تعالى: (وجعلوا أعزة أهلها أذلة)، حيث اختلف أهل التأويل في قائل: وكذلك يفعلون على قولين وذلك على النحو الآتي:

[٣٥] أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، *البحر المديد* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ)، ج. ٥، ٤٣١.

[٣٦] الأشموني، *منار الهدى*، ٢٩٣.

[٣٧] القرطبي، *الجامع*، ج. ١٣، ١٩٥.

القول الأول: الوقف على (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) تام،[٣٨] ثم البداءة (وكذلك يفعلون) لأنه من كلام الله تعالى تصديقا لقول بلقيس، فالجملة ابتدائية والواو للاستئناف. ووجه التمام هو من أجل الفصل بين كلامه تعالى وبين كلام غيره.

ونظير هذا في سورة الأعراف: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ} وهنا تم الكلام بالنسبة للملأ، فقال فرعون: {فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)}.

القول الثاني: الوقف على: (وكذلك يفعلون) تام،[٣٩] وترك الوصل قبله (أذلة)، لأن الجملة كلها من قول بلقيس فقط، فالجملة وكذلك يفعلون تأكيدية وليست تأسيسية، والواو للعطف لا للابتداء.

وأكثر المفسرين على القول الأول، يقول السمعاني: وقوله: (وكذلك يفعلون) أكثر المفسرين على أن هذا من قول الله تعالى على طريق التّصديق لها، لا على طريق الحكاية عنها.[٤٠]

[٣٨] النحاس، *القطع*، ٥٠١؛ الداني، *والمكتفى*، ١٧٢.

[٣٩] السجاوندي، *علل الوقوف*، ٧٦٨.

[٤٠] أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، *تفسير السمعاني*، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (السعودية: دار الوطن، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، ج. ٤، ٩٥.

خاتمة

نستخلص في تمام هذا البحث أن موضوع: علل الوقوف:

١. علم الوقف والابتداء من المسائل المهمّة في العلوم اللغوية والدراسات القرآنية.

٢. ارتباط الوقف القرآني بجملة من العلوم وتأثّره بها وتأثيره فيها.

٣. للوقف والابتداء دور كبير في اختيار المعاني على حسب الموضع الموقوف عليه.

٤. تعليلات الوقوف إنما هي اجتهادات وتقديرات تَقْوَى وتَضْعُف بحسب كلِّ عالم وما يراه وما يعتمد عليه من دليل ومستَند.

٥. معرفة هذه العلل مِمَّا يُعين المفسِّر والتَّالي على اختيار الوقوف الجائزة الصحيحة، واجتناب الممنوعة منها والقبيحة.

٦. أن بفهم هذه العلل تحْصيلٌ لمقاصد الآيات القرآنية وإدراكٌ لمعانيها على الوجه الصحيح.

٧. كان محل عِناية المتقدمين من اللغويين والمفسرين.

٨. عناية القرطبي بمسائل الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس. *السبعة في القراءات*. تحقيق: شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٠هـ.

ابن المهدي، أبو العباس أحمد بن محمد. *البحر المديد*. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.

الأشموني، أحمد بن محمد. *منار الهدى في بيان الوقف والابتدا*. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم. *إيضاح الوقف والابتداء*. تحقيق: أحمد عيسى المعصراوي وأحمد عبد الرزاق البكري. المنامة: وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. *زاد المسير في علم التفسير*. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

الداني، أبو عمرو. *المكتفى في الوقف والابتدا*. تحقيق: جمال الدين محمد شرف. القاهرة: دار الصحابة للنشر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

زين، أيمن فتحي عبد السلام. "الوقف والابتداء دراسة تداولية من خلال علل الوقوف للسجاوندي (ت ٥٥٦٠)." *المجلة العلمية بكلية الآداب*، رقم ٣٢ (يناير، ٢٠١٨): ١٧٦-٢٠٤.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد. *تفسير السمعاني*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *الإتقان في علوم القرآن*. محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الطيار، مساعد بن سليمان بن مساعد. *وقوف القرآن وأثرها في التفسير*. الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣١هـ.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون. القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

القيسي، أبو محمد بن أبي طالب. *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها*. بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ت.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمود. *تفسير الماتريدي*. تحقيق: مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد. *القطع والائتناف*. تحقيق: عبد الرحمن المطرودي. الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود. *تفسير النسفي*. تحقيق: مروان محمد الشعار. بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٥م.

الهذلي، أبو القاسم يوسف بن علي. *الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها*. تحقيق: جمال الشايب. القاهرة: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد. *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دمشق: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٥هـ.

Rebba, Mhamed, and Zainuddin Bin Musa. "The Debate on Waqf (Signs of Stopping) at the Finishing End of Quran Verses | جدَلِية الوقوف على آواخر الآيات القرآنية." *AL-Zahra : Journal for Islamic and Arabic Studies* 16, no. 1 (July 26, 2019).

Suhail, Ahmad Kusyairi. "The Muslim's Need for Tafsir | حاجة المسلم إلى التفسير." *AL-Zahra : Journal for Islamic and Arabic Studies* 7, no. 1 (June 1, 2008).